فروق مهمة.. لابد أن تعرفها..

كان علينا، ونحن نتحدث عن موضوع على جانب كبير من الأهمية، مثل موضوع هذه الأوراق والذى نناقش فيه موقف أتباع الديانات السماوية الثلاث، اليهودية والمسيحية والإسلام من التسامح والإرهاب والعنف، ضرورة أن نقف على مجموعة كبيرة من الفروق، التى اكتشفناها من خلال قراءات متأنية فيما يخص أتباع هذه الأديان الثلاثة، وذلك من قبل الانطلاق فى رحاب بقية التفاصيل التى سوف نلقى عليها الأضواء المبهرة من خلال أبواب هذا الكتاب وفصوله المتعددة.

ولسوف تتضح تلك الفروق وبشكل كبير من خلال مناقشتنا لأربعة محاور ترتبط ارتباطاً مباشراً بكل من اليهودى والمسيحى والمسلم كأناس أُرسلت إليهم تلك الرسالات السماوية وقادها ثلاثة أنبياء كرام هم: موسى وعيسى ومحمد عليهم أفضل الصلاة والسلام.

• • •

بالنسبة للمحور الأول.. فنقصد به تلك التعريفات اللغوية لهذه الألفاظ الثلاثة.. إذ نتساءل عادة سواء فيما نكتبه أو نتحدث فيه خاصة ما يتعلق بالدراسات الأكاديمية عمن يكون اليهودى وما المقصود بالمسيحى.. ومن هو المسلم؟!

وفى هذا السياق رأينا أن هناك عشرات الدراسات التى تناولت تلك التعريفات مع وجود اختلافات عديدة فيما بينها، وعلى وجه الخصوص ما جاء بشأنها فى المراجع الأجنبية.

وعندما نبدأ رحلة نقاشنا المرتبط بحديث هذا المحور والذى نقترب من خلاله من التعريفات اللغوية المعنية بهذه الألفاظ الثلاثة، ولأجل بيان ما بها من فروق كبيرة. يتضح لنا أن أول تلك الفروق.. يرتبط برسم الكلمة أو اللفظ المشار إليه..

فإذا ما نظرنا لكلمات اليهودى والمسيحى والمسلم. نجد أن الأولى والثانية بهما ياء النسب، وأما الثالثة فلا يوجد بها تلك الياء!. مما يعنى أن لفظ كل من اليهودى والمسيحى فى العربية، لا يعتبر من الألفاظ الأصيلة، وإنما هى فى الواقع ألفاظ منسوبة لمعرفة أو علم، فاليهودى منسوب إلى رسالة الدين اليهودى، وكذلك المسيحى.. أما كلمة المسلم كلفظ فهو أصيل فى معناه.. وذلك لكونه مرتبطا بالدين الإسلامى مباشرة وبدون وسيط!.

وأما ثانى هذه الفروق فيتجلى بوضوح فى الوقوف على رسم هذه الألفاظ الثلاثة فى اللغات الأوروبية، خاصة الإنجليزية والفرنسية والألمانية، وقد اكتشفنا فى هذا السياق أن لفظى اليهودى والمسيحى قد تم تناولهما بكلمات مختلفة، فنجد أن اسم اليهودى فى اللغة الإنجليزية هو (Jew). والمسيحى (Chrstian) أما المسلم.. فقد احتفظ باسمه فى هذه اللغات أيضا. إذ لم يجد أصحاب تلك اللغات الأجنبية من كلمة مناسبة يعبرون بها عن المسلم، سواء كلمة (Moslem) وهذا يعنى الأصالة أيضا.

• • •

وإذا ما تركنا حديث تلك الفروق فيما يخص رسم هذه الكلمات الثلاث، كما سبق أن أشرنا. كى نتجه إلى اكتشاف فروق أكبر وأكثر أهمية، خاصة عندما تكون وجهتنا ناحية التعريفات اللغوية والمصطلحية سوف نجد أن لفظ اليهودى يدل فى الأساس على أن من يحمله إنما هو من أتباع الطائفة اليهودية التى نُسبت

إلى سيدنا موسى عليه السلام والذى تلقى من ربه كلمات التوحيد كى يهدى بها قومه الكافرين.

ولفظ اليهودى قد سبقه أيضا لفظان آخران، عندما نسمعهما لابد أن نعرف أن صاحبهما يهودى الديانة، ونقصد بهما لفظى عبرانى وإسرائيلى.. وهما لفظان يدلان على انتساب اليهودى إلى مكان واسم علم! فقد عُرف اليهود فى فترة زمنية سبقت كل فترات حياتهم التاريخية، خاصة عندما كانوا قبائل رعوية ترحل وراء رزقها هنا وهناك، باسم العبرانيين نظراً لعبورهم نهر الفرات خلف سيدهم وقائدهم النبى إبراهيم الخليل عليه السلام، وصاحب الفضل الأول والأكبر فى استقرار تلك الجماعات فى أرض كنعان وهو كذلك الرجل العظيم الذى قبل أن ينضم هؤلاء إلى شعبه، لحمايتهم ورعايتهم.

ثم عرفوا كذلك باسم بنو إسرائيل، نسبة إلى نبيهم الكريم يعقوب عليه السلام الذى تحول اسمه بناء على توجيهات إلاهية إلى إسرائيل.

وبخلاف هذه الاجتهادات التى انتشرت فى كتب كثيرة عربية وغير عربية هناك أيضا اجتهادات أخرى فى مجال التعريف اللغوى والمعرفى لليهودى. فعلى سبيل المثال يقول صاحب لسان العرب: "الهود: التوبة، هاد يهود هودا: تاب ورجع إلى الحق فهو هائد، وفى التنزيل العزيز: **"واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك"** أى: تبنا ورجعنا إليك، وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير.

ويهود اسم للقبيلة، وقالوا: "اليهود".. فأدخلوا الألف واللام فيها على إرادة النسب، يريدون اليهوديين، وقوله تعالى: **«وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر»**.. معناه: دخلوا اليهودية. وهود الرجل: حوله إلى اليهودية وهاد ويهود إذا صار يهودياً، قاله سيبويه: وفى الحديث: «كل مولود يولد على

الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه» معناه: أنهما يعلمانه دين اليهودية أو النصرانية ويدخلانه فيه"[1].

وكذلك يقول الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى بأنه قيل: إنهم سموا بذلك، لأنهم يهودون، أى: يتحركون عند قراءة التوراة، وقيل: إنهم سموا يهودا نسبة إلى "يهوذا" الابن الرابع ليعقوب عليه السلام.

وقد رجح بعض العلماء هذا القول واقتصر عليه. . ومن هؤلاء البيرونى الذى قال مؤيداً هذا الرأى: "إنما سموا باليهود نسبة إلى يهوذا أحد الاسباط، فإن المُلك استقر فى ذريته، وأُبدلت الذال المعجمة دالاً مهملة لأن العرب كانوا إذا نقلوا أسماء أعجمية إلى لغتهم غيروا بعض حروفها"[2].

• • •

وأما لفظ المسيحى، بالنسبة للبحث عن معناه والمعارف المتصلة به، فعند الحديث المفصل عنه، اكتشفنا أن كل المعاجم العربية وغير العربية وكذلك دوائر المعارف، قد تناولته منسوباً للسيد المسيح عليه السلام!، من دون تحديد مكانى معين لوجود هؤلاء الأتباع، وإن كانوا قد بدأوا من دون تأكيد فى أرض الجليل وما كان يحيط بها من بلدان وقرى صغيرة، مثل بيت لحم وما كان يسمى منها أيضا آنذاك يهودا والسامرة.

ولقد ظل أتباع المسيح عليه السلام محاصرين فى هذه المناطق الفلسطينية باعتبارهم فى الأصل كانوا من أتباع الطوائف اليهودية المختلفة والتى كانت منتشرة هناك فى ذلك الوقت، وخرجوا عليها إيماناً برسالة المسيح عليه السلام التى جاءت لتعيد الإيمان المفقود إلى قلوب بنى إسرائيل.

وقد آمنوا بالله وبرسالة المسيح عليه السلام، وضاق بهم المقام نظراً لما كانوا

(١) لسان العرب لابن منظور - ج ١٥ طبعة بيروت.

(٢) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة. د. محمد سيد طنطاوى - دار الشروق.

يتعرضون له من مضايقات عديدة وصلت إلى حد الموت.. وقد فروا بدينهم هنا وهناك، وظلوا كذلك حتى اعترفت الامبراطورية الرومانية بالدين المسيحى كدين رسمى للدولة..

وللأسف فقد جاء هذا الاعتراف جناية على المسيحية نفسها.. إذ أصابها التغيير والتعديل وفق إرادة بنى إسرائيل الذين بدأوا فى تحريف الديانة المسيحية مثلما حرفوا من قبل الدين اليهودى سواء من حيث الشكل أو المضمون، حتى صارت المسيحية المحرفة تدور فى فلك اليهودية وأتباعها.

وقد تحالفوا منذ القدم لإتمام تلك الجريمة مع رجال الدين الوثنيين فى الإمبراطورية الرومانية لإرضاء حكامها، ولتقريب تعاليم ديانة المسيح عليه السلام القائمة على توحيد الله وعبادته.. من عبادة الحكام ونسبتهم إلى الله عز وجل!!

وللأسف الشديد فمايزال ذلك التحالف قائما إلى يومنا هذا ولكن بأشكال وطرق مختلفة وفقاً لمقتضيات كل عصر!

• • •

والمسيحى بالمعنى اللغوى يعنى الرجل أو الإنسان الممسوح بالدهن! وفى دوائر المعارف: المسيح تعنى ما يمسح بقصد التقديس، والمسيح بالزيت لتكريس الأحبار والأنبياء، كما يمسح الملوك رمزاً لتتويجهم ومبايعتهم.

ومما يثير الدهشة أن كل، بل ومعظم دوائر المعارف المسيحية وكذلك المعاجم اللغوية، لم تهتم كثيراً باسم "عيسى بن مريم" وهو الاسم العظيم لهذا النبى الكريم، والذى تكرر ذكره كثيراً فى القرآن الكريم.. وقد استعاضوا عنه باسم "يسوع"!

ويبدو أن طبيعة هذا الاسم البشرية قد أبعدتهم عن استخدامه.. إذ نظروا إلى هذا النبى الكريم على أنه إله!!!. أو ابن إله!. وإلا فكيف يكون إلهاهم اسمه

"عيسى"؟! إن ذلك بالطبع لا يليق.. ومن هنا نراهم قد اختاروا له اسم "المسيح" أو "يسوع المسيح"!!!.

من كل ذلك نخرج بالمعنى المطلوب فى هذا السياق، وهو أن المسيحى لم يكن أبداً يمثل شعباً مستقلاً بذاته، مثلما كان اليهودى من قبل.. بل هو فى الأصل ينتمى إلى الطائفة اليهودية، ثم خرج عليها بإيمانه بالله الواحد الأحد!.

وهذا يعنى بالضرورة أنه لم يكن أبداً عنصرياً مثل اليهودى، الذى ظل على مدى كل القرون والسنوات متقوقعاً داخل يهوديته، حتى أثر هذا التقوقع على كل سلوكياته، سواء مع نفسه أو مع الآخرين!

وكذلك نستطيع أن نقول فى السياق نفسه أن المسيحى هو من أتباع إحدى الديانات السماوية التى اتسمت بالعالمية.. سواء فى العصور القديمة أو الحديثة بصرف النظر عما بها الآن من أخطاء!. وهذا مالم تحظ به أيضا الديانة اليهودية.

• • •

وحين نتوقف أمام لفظ المسلم.. أو مسلم فى مقابل اللفظين السابقين، "اليهودى والمسيحى" لأجل اكتمال الفائدة فى اتجاه التعريف اللغوى والمعارفى سوف نجد أن هذه الكلمة تدور فى فلك عدة معان تصب فى كلمات مثل السلام والتسليم والاستسلام لمشيئة الله والمسالمة والتسالم أى التصالح، وهى كلها معان عظيمة ولها دلالات مهمة فى حياة الإنسان، وكذلك ارتبطت بالإسلام كديانة أساسها الدعوة للسلام والسلامة والتسليم والسلم.

وفى المعجم اللغوى "مختار الصحاح" المزيد من هذه الدلالات اللفظية لكلمة المسلم ومشتقاتها.. كقول صاحبه: والسلم يعنى السلام.. وقرأ عمرو "ادخلوا فى السلم كافة"، وذهب بمعناها إلى الإسلام، والسلم: الصلح بفتح السين وكسرها يذكر ويؤنث، والمسلم: المسالم، تقول أنا مسلم لمن سالمنى، والسلام: السلامة، والسلام: الاستسلام، والسلام: الاسم من التسليم، والسلام: اسم

من أسماء الله تعالى.. والسلام: البراءة من العيوب فى قول أمية وقرئ: "ورجلاً سلماً"، والسليم: كأنهم تفاءلوا بالسلامة وقيل لأنه أسلم لما به[1].

ليس هذا فقط، بل ليس هناك خلاف على تعريف الإسلام قديما وحديثا بأنه: الخضوع والانقياد لله سبحانه وتعالى وفق ما جاء به وأخبر عنه الرسول ﷺ من الشرائع والأحكام[2].

هذا الدين الذى ينتمى إليه كل مسلم، وكما نعرف جميعا، قد بزغ نوره فوق أرض الحجاز، بنزول الوحى على قلب رسولنا الكريم محمد عليه الصلاة والسلام، ثم ما لبث أن انتشر فى كل ربوع الأرض، عندما دخل الناس فى هذا الدين أفواجاً، وهو لذلك دين يتصف بالعالمية، حيث لا يفرض على أتباعه أبداً التقوقع داخل رقعة جغرافية بعينها.

وكذلك فهو لا يتصف أبداً بالعنصرية مثله فى ذلك مثل الديانة اليهودية، حيث أراد الله سبحانه وتعالى أن يصحح ما فى قلوب أتباع الدين اليهودى الذين اخترعوا العنصرية، عندما جعلوا دينهم مقصورا عليهم فقط دون العالمين!

ونقطة أخرى لابد من إلقاء الأضواء المبهرة عليها، وهى أن دين الإسلام لم ينتشر عالمياً تحت وطأة الاضطهاد، مثلما كان الشأن فى انتشار الديانة المسيحية، وكما سبق أن أوضحنا.. وهو فرق لابد أن يحسب لدين الإسلام الذى انتشر بالقبول من دون الإكراه، وهناك آلاف الكتب التى تناولت بالتفصيل ملامح انتشار هذا الدين الحنيف داخل البلاد التى توقف فيها الدعاة المسلمون الذين انطلقوا بالدين الجديد من أرض الحجاز، لا يبغون إلا وجه الله تعالى.. بتبليغ رسالة التوحيد لكل البشر، باعتبار أن دين الإسلام هو دين للناس كافة!.

● ● ●

وفيما يخص المحور الثانى والذى نتبين منه المزيد من الفروق بين الألفاظ

(١) مختار الصحاح للشيخ الإمام أحمد بن أبى بكر الرازى.
(٢) التعريفات للجرجانى.

الثلاثة السابق الإشارة إليها.. فنقصد به الحديث عن الدلالات التاريخية لهذه الألفاظ، وهى كثيرة ومتنوعة.. وقد اخترنا منها دلالتين فقط على جانب كبير من الأهمية، ونستطيع من خلال الاطلاع عليهما الوقوف على المزيد من هذه الفروق الواجب معرفتها عن أصحاب تلك الديانات الثلاثة وطبيعة هذه الديانات.

فمن المعروف أن الدين اليهودى المنسوب إلى موسى عليه السلام، بزغ نوره فى أحد عصور فراعنة مصر. وقد اختلف العلماء فى تحديد هذا العصر.. وإن أخذ بعضهم بالشواهد.. فقالوا ربما يكون عصر رمسيس الأول أو الثانى!.

وقصة موسى عليه السلام وأتباعه من بنى إسرائيل مع فرعون مصر معروفة لنا جميعا، وقد انتهت بانتصار إرادة الله على إرادة الشيطان، وفاز موسى عليه السلام وأتباعه من بنى إسرائيل بهذا الدين الجديد الذى قدم لهم الخير كله، وإن عارضوا ذلك الخير كثيراً.. بل وعدوه فى صور متعددة ووسائل شتى.

كذلك ومن المعروف أن هذا الدين الجديد قد تلقاه النبى موسى عليه السلام فوق أرض ليست يهودية. وهى أرض سيناء المباركة التى انطلق منها هؤلاء الأتباع حيث فلسطين أو الأرض الموعودة أو المقدسة حسب زعمهم.

ومن بعد هذا الانطلاق ظلوا بعيدين عن أرض مصر، مستغلين الأراضى الجديدة فى فرض نفوذهم وبسط سلطانهم، وقد ظلوا على عنصريتهم هذه حتى بداخل الأرض الجديدة،وظهر ذلك جلياً فى تعاملاتهم مع السكان الأصليين، هذه المعاملات التى اتصفت كما سوف نبين ذلك بالارهاب والتخويف والسرقة والاغتصاب!!.

وحين نرجع إلى تاريخ المسيحية. نجد أنها ظهرت كنور من الله تعالى لهداية عباده من بنى إسرائيل.. كما سوف نلاحظ أيضا أن هذا الدين الجديد الذى جاء مكملاً للدين اليهودى ومصححاً لشريعته التى تم تزويرها على أيدى أحبار اليهود، قد ظهر فى أيام حكم الإمبراطورية الرومانية التى كانت تسيطر على أرض فلسطين.، وفى وقت اضطربت فيه الديانة اليهودية وضاعت معالمها وسط ما اتصف به أحبارها من جشع وحقد وطمع.

ولقد سبق ظهور المسيح عليه السلام. . حالات تمهيد إيمانية كانت تبشر بموعد ظهور الحق، ونزول الدين الجديد إلى أرض الواقع ودعوة عيسى عليه السلام لدين الله القائمة على التوحيد.

مثال ذلك ما قام به النبى زكريا عليه السلام وابنه يحيى، وكذلك ما حكاه القرآن الكريم عن مريم وأمها التى عاهدت رب العالمين على أن تنذر وليدها أو وليدتها لله تعالى.

ولم تمكث الدعوة إلى المسيحية فوق أرض الجليل بفلسطين إلا سنوات قليلة حيث هرب أصحاب هذا الدين بجلودهم فراراً بدينهم الحق. . وخوفاً من اليهود وأعوانهم من رجال الامبراطورية الرومانية.

وهناك من يرى أن التاريخ المسيحى خلال السنوات الخمسين الأولى للتقويم الميلادى يكتنفه الكثير من الغموض خاصة لدى الباحثين من علماء الكتاب المقدس[1].

• • •

أما الدلالة التاريخية الخاصة بظهور دين الإسلام. فالمقصود بها هنا. . اختلاف الأزمنة التى تعاقبت بعد ظهور كل من اليهودية والمسيحية وما شابههما من تزوير وتحريف حتى بلغت المسافة الزمنية بين المسيحية الإسلام قرابة ٦١٠ أعوام.

وربما كانت نفس المسافة الزمنية بين كل من الدين اليهودى والمسيحى، وربما أكثر من ذلك، وهذا يعنى بالتأكيد أن الناس قد عاشوا فى ظلام الجهل والكفر بالله والابتعاد عن أصل رسالاته وتعاليمه قرابة ستة قرون. . وقد أصابتهم كل شرور الدنيا واستعبدهم الشيطان، وسيطر على مقدرات حياتهم مصوراً لهم هذه الحياة فى صورة غير الصورة الجميلة التى خلقها للبشر رب العالمين كى يستمتعوا

(١) الأصول المصرية فى اليهودية والمسيحية - أحمد عثمان- دار الشروق.

بها فى ظل الإيمان بالله والعمل بالشريعة التى تساهم فى تحقيق المزيد من الاستقرار لهم ولبلادهم.

ولو تدبرنا مدلول تواريخ ظهور هذه الديانات الثلاثة. سوف نعرف أن الدين الإسلامى رغم ظهوره متأخراً عن الديانتين اليهودية والمسيحية. فقد جاء مصححاً لما فى هاتين الديانتين من شوائب وتحريفات أضيفت إليهما.

وكذلك نلاحظ أن الله قد أراد بمشيئته أن يكون هذا الدين الجديد هو الوعاء الذى يستوعب كل تعاليم هاتين الديانتين أيضا.

وقد جاء الدين الإسلامى بهذه الصفة وبغيرها من الصفات الحميدة، حتى أنه قد جاء للناس كافة.. ولجميع من فى الأرض من البشر. وهو مايزال بهذه الصفات إلى يومنا هذا وحتى قيام الساعة!.

وكما نعرف جميعا.. فقد ظهر نور الإسلام وانطلقت رسالته التوحيدية من أرض مكة بالحجاز، فى وقت كانت فيه الجاهلية سائدة فى داخل هذه البلاد وفى خارجها، ومع ذلك فقد انتشر بسرعة لم نعهدها فى انتشار الديانتين السابقتين.. خاصة خارج أرض الحجاز.. حيث أقبل على اعتناقه والإيمان به قوم كثيرون من أتباع المسيحية واليهودية، بل ومن كل أتباع الكفر.. آنذاك.

• • •

وإذا كانت مناقشتنا لما جاء بالمحورين السابقين من دلالات لإظهار ما نقصده من الفروق الواجب الوقوف عليها بين أتباع الأديان السماوية الثلاثة.. لم تساعدنا حتى الآن فى التوسع على معرفة الفروق المقصودة.. فإن مناقشتنا للمحور الثالث ودلالاته الاعتقادية سوف تساهم كثيراً فى توسيع نطاق تلك الفروق وكما نأمل.. وقد اخترنا له عنوان "محور المعتقدات".. والذى يعتبر فى تصورنا من أهم المحاور الأربعة التى توصلنا إليها لحديث هذه الفروق. إذ من خلاله سوف نعرف بعض تفاصيل العقيدة والمعاملات والعبادات لدى أصحاب

تلك الديانات الثلاث.. وما طرأ عليها من تغييرات خاصة فى اليهودية والمسيحية مما أضاع معالمها تماماً، ومما استوجب معه أيضا ظهور دين الإسلام.

• • •

وبشكل عام نستطيع أن نؤكد ونحن مطمئنون لما توصلنا إليه أن العمود الفقرى لهذه الديانات الثلاث إنما هو واحد.. وأساسه مبنى على الإيمان بالله الواحد الأحد، والإيمان بيوم الحساب، ثم العمل بالكتاب الذى أُنزل على رسول هذا الدين أو ذاك!.

كما نستطيع أن نؤكد فى السياق نفسه أن العبادات وكذلك المعاملات كانت لابد أن تدور فى فلك عبادة الله الواحد الأحد، لأن من يعبد الله بإخلاص لابد أن يراه فى كل لحظة، وهو يعرف أنه يراه.. ومادام يراه، فلابد أن يعمل بما جاء فى الكتاب المقدس الذى أنزل على النبى صاحب الرسالة، تحقيقاً لصالح الإنسان نفسه.

وللأسف الشديد وكما أنبأنا بذلك القرآن الكديم، فقد تم تحريف كل ما جاء به الدين اليهودى وكذلك المسيحى.. تحقيقاً لأغراض بشرية خاصة وهروباً من التكليفات التى أُنزلت إلى الأرض بأوامر رب العالمين.

فبعد سنوات قليلة من إيمان طائفة من أهل الديانتين بما أُنزل على رسولهما من الخير والبركات..، وبعد صلاح أحوالهم وفقا لتمسكهم بدين الله المنزل من السماء. أصابهما الانحراف فى كل شىء.

وقد بدأ بنو إسرائيل هذا المشوار الملعون.. حتى خرجوا كلية عن المسار الصحيح للدين اليهودى.

ولما جاء المسيح مصححاً ومرشداً.. آمن به البعض من اليهود وكفر البعض الآخر ولكن بعد سنوات قليلة انحرف أيضا هذا البعض المؤمن أو من جاء خلفهم، وتاهوا وسط ظلام الكفر والانحراف والتحريف والتزوير.. ولايزالون، على هذه الحالة رغم ما جاء فى الإسلام من تصحيح واضح وصريح.

أما العقيدة فى الإسلام، فهى والحمد لله ثابتة فى كل مجالاتها ونواحيها. ومايزال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما مصدر التشريع فى هذا الدين الحنيف. وأعظم ما فيه أن أتباع هذا الدين.. يؤمنون بوحدانية الله وبالقضاء والقدر وكذلك بكل الأنبياء والرسل السابقين وكل الكتب السماوية الأخرى، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: «**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون. كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله. لا نفرق بين آحد من رسله**» صدق الله العظيم.

وهذا الثبات، على الإيمان والتوحيد يعتبر من أعظم الفروق العقائدية الواجب الوقوف عليها، وذلك عند الحديث عن المقارنات السابق الإشارة إليها، وهى نفسها من أعظم الميزات التى تجعل من هذا الدين ثابتًا دائماً وقويا باستمرار.

ولو فتحنا الباب لقول المزيد من الفروق والمقارنات الخاصة بمحور العقائد فى الديانات السماوية الثلاث، لما وسعتنا كل هذه الأوراق.

وهناك المئات من المؤرخين وعلماء الدين الذين كتبوا فى هذا الموضوع كثيراً، ولكن ما نقوله نحن هنا.. يأتى على سبيل التذكرة، والتمهيد لما هو آت.

ولسوف يفاجأ المتابعون لنا من خلال أبواب وفصول هذا الكتاب.. بكم الانحرافات العقائدية التى شابت الديانة اليهودية ولحقت بها المسيحية. وتأثير تلك الانحرافات على سلوكيات أتباعهما، وهو أيضا ما سوف نتناوله باختصار من خلال مناقشتنا لآخر محاور هذه الفروق، وهو المحور الذى يتعلق بسلوكيات أصحاب تلك الديانات، وذلك من قبل الانطلاق إلى رحاب أوسع تشمل كل عناصر موضوع هذه الأوراق.

• • •

يقول بعض علماء النفس أن سلوكيات الإنسان وتصرفاته تجاه الآخرين تحكمها عدة معايير منها أساليب التربية والمعتقدات والبيئة التى يعيش بها وكذلك الأفراد الذين يتعامل معهم، وذهب فريق آخر ليضيف إلى ذلك وسائل التعليم وما ارتبط بتلك الوسائل من تعليمات تحث على الخير أو الشر..

ولو رجعنا إلى قراءة بعض الفروق التى ناقشناها آنفا فيما يخص ما ارتبط باليهودى فى حياته سواء فى الماضى أو فى الحاضر، سوف نجد أن سلوكياته قد تحكمت فيها ما سبق أن ذكرناه، بل ونجد كذلك أن اتصافه بالعنصرية فى معتقداته الدينية على غير ما يدعو إليه دين الله الذى أُنزل على موسى عليه السلام كانت من أكثر ما أثر فى هذه السلوكيات حتى حولته إلى إرهابى ينظر إلى كل من هو غير يهودى بأنه عدوه!!

أضف إلى ذلك تلك البيئة الرعوية التى نشأ فيها أجداده، وما اتصفت به من سلوكيات تقوم فى الأساس على السطو والنهب والاستيلاء على حقوق الآخرين، مما جعل عالما مثل الدكتور جمال حمدان يقول فى كتابه "اليهود انثروبولوجيا" إن تاريخ هؤلاء الناس كله يتسم بالدموية ويتصف بأنه لا أخلاقى ويدور معظمه حول الحرب والغزو، إلا أن الهزيمة دائما كانت من نصيبهم!

ومما يؤكد ما ذهب إليه العالم الراحل الدكتور حمدان أن معالم تاريخهم فيه تفاصيل كثيرة ومذهلة حتى بعد فترة دخولهم فى دين موسى عليه السلام، وقد قتلوا أنبياءهم وكفروا من قبل برسالة هذا النبى الكريم، بل وعادوه وأخاه هارون عليه السلام.

ولدينا بخلاف ذلك آلاف، بل وملايين الأمثلة والنماذج التى تظهر مدى إجرام وإرهاب هذا الشعب حتى من خلال ما سطرته أيديهم فى كتبهم المقدسة أو المزعومة بالتقديس! وكذلك هناك صفات أخرى عديدة، نتعرف من خلال الوقوف عليها على مدى انحطاط سلوك اليهودى، سواء مع نفسه أو مع جاره أو مع غيره من أصحاب الملل والنحل الأخرى.

ولسنا فى حاجة إلى التأكيد على أن هذه السلوكيات لم تنشأ من فراغ، بل لها تأصيل فى تاريخهم وفى تكوينهم أيضا. وقد تجلى ذلك فى مواقف كثيرة سواء فى العصر القديم أو الحديث!.

• • •

والعكس كان هو الصحيح تماماً فيما يتعلق بالمسيحى، الذى آمن بتعاليم عيسى

عليه السلام التى جاءت بالحق ونادت بالتسامح والعفو عند المقدرة. . وأتباع هذا الدين الحنيف، كانوا قد قاسوا الأمرين كما يقولون من سلوكيات بنى إسرائيل ومن ظلمهم آنذاك. . حيث آمن برسالة عيسى عليه السلام قوم لا بأس بهم من بنى إسرائيل. وهم فى تصورنا كانوا من سلالة بعض طوائف اليهود التى كانت قد حافظت على معتقداتها والتى نادى بها موسى عليه السلام، بلا تحريف أو تزييف.

ولما جاءهم الحق من عند الله. . تأكدوا مما فى صدورهم من حالات إيمانية، وبالتالى فقد سارعوا إلى الإيمان بما جاء به النبى عيسى عليه السلام.

ولقد ظل أتباع المسيح عيسى بن مريم على ما فى قلوبهم من حب وإيمان لله وسماحة نفس مدة وللأسف غير طويلة. حتى أُحكمت حولهم حصارات اليهود لأجل أن يخرجوهم من دينهم الحنيف.

وقد استجاب البعض وفر الآخرون بدينهم، ومنذ أن تحكم بنو إسرائيل وبالتحالف مع شيطان الرومان آنذاك فى البقية الباقية من أتباع عيسى عليه السلام تغير كل شيء في قلوبهم وفى عقولهم حتى باتوا على مقربة من سلوكيات هؤلاء القوم الكافرين.

وما ظهور بعض الذين ادعوا ألوهية عيسى عليه السلام إلا خير مثال على ذلك!. حيث حولوا مسار دعوته الإيمانية والقائمة على التوحيد إلى الشرك والكفر، مما كان له أكبر الأثر فى ذوبان التسامح داخل صدورهم وتحوله إلى عنف أخذ يتربص بكل ما هو عدو لهم. .

وللأسف فقد كان هذا العداء، وفى تصورهم يقوم على عدم الإيمان والتصديق بما ذهبوا إليه من ألوهية عيسى!!!.

هذا العداء السافر جعل بعض الفتية من قوم عيسى عليه السلام يهربون بدينهم القائم على الإيمان بالله كما سمعوه من آبائهم الذين آمنوا بعيسى عليه السلام، وهم أهل الكهف، أصحاب القصة المشهورة فى القرآن الكريم.

وللأسف أيضا فقد أخذ العنف المسيحى يكبر سنوات تلو السنوات حتى قارب فى مساره الإرهاب اليهودى..

بل ونراه قد تحالف معه ضد كل المؤمنين بالله تعالى.. وقد ازداد ضراوة وعنفاً، بعد ظهور الإسلام الحنيف الذى فضح كل هذه الممارسات اللاإيمانية سواء فى قلوبهم أو فى سلوكياتهم.

بل وحين نقلب صفحات التاريخ سوف نكتشف أيضا أن الإرهاب اليهودى والعنف المسيحى قد استخدما بضراوة ضد أصحاب هاتين الديانتين أيضا، لا بسبب خلافات عقائدية، بل للفوز بمغانم دنيوية مشتركة!.

وفى كثير من الأحيان وكما تكشف عن ذلك أيضا كتب التاريخ، فإن التحالف الأسود بين الإرهاب اليهودى والعنف المسيحى قد استخدم أسوأ استخدام ضد المسيحيين أنفسهم وفى عصور مختلفة.

ليس هذا فقط بل لابد لنا أن نذكر أن هذا العنف المسيحى قد استخدم أيضا وبقسوة ضد اليهود سواء فى العصور القديمة أو الحديثة أو الوسطى.

وهناك ملايين المشاهد والأمثلة التى سوف نسوقها خلال أوراق هذا الكتاب مما يؤكد ما توصلنا إليه آنفاً، وما أحداث محرقة أفران النازية ضد اليهود خلال الحرب العالمية الثانية إلا واحدة من حالات العنف التى نقصدها.

• • •

وفى مقابل الإرهاب اليهودى والعنف المسيحى نجد سماحة المسلمين.. الذين ربطوا بين كل معاملاتهم مع كل البشر عامة ومع أهل الذمة من أصحاب الديانة اليهودية والمسيحية خاصة وبين ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله الكريم.. إذ أوصى القرآن الكريم وكثير من الأحاديث النبوية بالمعاملة الحسنة الطيبة، والسعى لتحقيق النفع العام لكل البشر دون النظر لجنس أو لدين أو لعرق!

ورغم ذلك فنحن لا نعفى أبداً المسلمين أو بعضهم ـ من الذين خرجوا عن خط الإسلام الصحيح واحتفظوا فقط منه بالاسم ـ من المسئولية تجاه ما أصابهم

من ظلم وجور من جانب أهل الكتاب.. حتى أنهم تمكنوا من قلب الحقائق التى أدت إلى عكس صورة الإرهاب والعنف فى الجانب المسلم، وإبعادها عنهم.. مع أنهم هم فى الأصل مصدر كل تلك الأفعال.

وحدث ذلك بالفعل حين مال بعض المسلمين ناحية المنافع الدنيوية، ضاربين عرض الحائط بتعليمات الدين الإسلامى. والذى يدعو إلى التوازن بين متطلبات الحياة الدنيا والآخرة.

هؤلاء قد اتخذوا من الإسلام وسيلة لتحقيق غاياتهم سواء السياسية أو الاقتصادية، وبالتالى فقد ابتعدوا به عن مساره الصحيح، وكانت تلك هى الفرصة الذهبية التى يبحث عنها فريق من أهل الكتاب من الذين أرادوا إخفاء ما اتصفوا به من إرهاب وعنف.. فاستداروا ينقبون فى تاريخ الإسلام وتاريخ بعض أتباعه من الذين خرجوا على الإسلام وعن مساره الصحيح، وأخذوا يستخرجون من هذا التاريخ كل ما يساهم فى إزاحة صورة الإرهاب والعنف عنهم وإلصاقها بالمسلمين!!.

وكانت تلك من أكبر المصائب وأكبر التحديات أمام المسلمين حتى فى العصر الحديث؛ وذلك عندما فوجئوا بهذا الكم الكبير من الكراهية المدفونة تحت التراب آلاف السنين تطفو إلى سطح الأحداث، وكأنما هى الحقيقة وحدها من دون ما ارتكبه ويرتكبه اليهود والنصارى سواء ضد أنفسهم أو ضد غيرهم من البشر عامة وضد المسلمين خاصة!.

وقد ساعدهم على تحقيق ذلك وسائل وأساليب كثيرة سواء مادية أو إعلامية فى مقابل تخاذل قطاع كبير من المسلمين سواء مادياً أو إعلامياً أيضاً.

وفى وسط هذه الاتهامات كادت فعلاً تضيع سماحة الإسلام وقوة المسلمين، ولكن الله غالب على أمره مع أن أكثر عباده لا يعلمون.. حيث يقيض الله لهذا الدين فى كل حين رجالاً وجنوداً لانراهم سواء المنزلة من السماء أو الموجودة بيننا فى الأرض لتدافع عن سماحة الإسلام ولكى تظهر قوته فى مقابل إرهاب وعنف الآخرين.